المقدمة

الحمدُ لله الباعث الملك العلاّم ، الموصوف بأوصاف الجلال والجمال والصلاة والسلام على سيد ولد آدم ، وأشرف بني عدنان محمد صل الله عليه وسلم .

للطبيعة الصحراوية والجبلية في شبه جزيرة العرب ، وقلة الماء والعشب اعتمد العرب على الترحال، مما أدى للتصادم والصراع بين القبائل بسبب حيازة الماء وقلتها في بعض الأماكن.

نتج عن ذلك حروب ومعارك وهزائم وثأرات وعصبيات مما صبغ الحياة العربية بلون التقاتل والانتقام.

ولشدة العوز أصبح من مصادر رزق العرب الغارة ، والنهب تحت ظل القبائل ونظمها إلاّ أنه ظهر رجال لا يلتزمون بقوانين القبيلة للغزو؛ لفقرهم الشديد وصاروا يهاجمون الأفراد والقبائل لانتزاع ما بأيديهم من مال، وكانوا يعتمدون في ذلك على الإغارة المفاجأة وقطع الطريق، وقتل من يقف في طريقهم، ولو كانوا من بني جلدتهم.

وقد أطلق المؤرخون والأدباء على هذه الظاهرة لفظ الصعلكة وتعني الفقر[1]، وكان يقال لمن ينتهج هذا المنهج صعلوكاً والجمع صعاليك[2].

وإن كانت الصعلكة ظاهرة اجتماعية، فقد أفرزت قيمة أدبية رفيعة تتمثل في شعر الصعاليك الخارجين عن القانون، والذي يتميز بخصائص أدبية رفيعة جعلت منه لوناً من ألوان الفنون الشعرية الراقية.

ولكثرة الشعراء الصعاليك رأيت أن أقتصر في دراستي على شاعرين منهم وهما: عروة بن الورد، والشنفرى، ففي شعر هذين الشاعرين يتكشف الوصف في عموم شعر الصعاليك.

---

[1]/ ابن منظور، الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1996م، مادة" صعلك"

[2]/ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط1، 2001م مادة" صعلك"

أسباب اختيارالموضوع:

أهم أسباب اختيار الموضوع هي:

1. مخالفة ظاهرة الصعلكة لما ساد من قيم في المجتمع الجاهلي ، الذي يعتمد الفرد فيه على حماية القبيلة.
2. عناية الشعراء الصعاليك بوصف الحياة مما جعل أشعارهم مصدراً لدراسة البيئة والمجتمع الجاهلي.
3. التعرف على الوصف وموضوعاته ومميزاته في شعر الصعاليك.
4. ولعل من أهم الأسباب التي دفعتني لاخيبار هذين الشاعرين ، أن عروة بن الورد سلد لِما تميز به من عزة نفس وسمو خلق الصعاليك بينما الشنفرى من الصعاليك الذين غمضت حياتهم فلم يتبين للباحثين اسمه الحقيقي وهو في تصعلكه خص بني سلامان بكيده منتقماً .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في دراسة الوصف واستخراج سماته في شعر الصعاليك ، حيث أنه مرآة تعكس بيئتهم وسلوكياتهم المتصلة بهذه البيئة .

أهداف البحث:

1. التعريف بالأسباب التي أدت إلى ظهور ظاهرة الصعاليك.
2. دراسة غرض الوصف عند عروة والشنفرى.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في تناول الوصف عند الشعراء الصعاليك وبيان قيمهم وأسباب تصعلكهم وا ٍزالة الغموض عن مفهوم الصعلكة .

منهج البحث:

اتخذت الدراسة المنهج المتكامل .

هيكل الدراسة:

احتوت هذه الدراسة على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول، وخاتمة وثبتاً للمصادر والمراجع.

شملت المقدمة على أسباب البحث وأهدافه ومناهجه وأهميته وأما فصول البحث جاءت على النحو التالي:

الفصل الأول:الوصف في الشعر الجاهلي، وينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول: تعريف الوصف في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: الوصف عند الجاهلين.

الفصل الثاني:أضواء على ظاهرة الصعلكة والصعاليك، يحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الصعلكة.

المبحث الثاني: أشهر الشعراء الصعاليك.

الفصل الثالث:الوصف عند عروة والشنفرى.

المبحث الأول: عروة وموضوعات وصفه.

المبحث الثاني: الشنفرى وموضوعات وصفه.

الخاتمة وتحوي النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة في الموضوع:

احتوت المكتبة العربية على كثير من الدراسات الأدبية عن الشعراء الصعاليك، وتحدثت عنهم بطرق مختلفة ، ولكنني لم أقف على دراسة مفردة ومستقلة عن فن الوصف عند الشعراء الصعاليك، وأبرز الدراسات المتصلة بموضوع الدراسة هي :.

الدراسة الأولى: شعراء هذيل الصعاليك:

وهي رسالة ماجستير من إعداد الطالب. بسام ضيف الله مزيد بإشراف: د محمد الحسن علي الأمين، الجامعة: جامعة أم درمان الإسلامية في العام الدراسي، 1990م.

تتفق مع دراستي في تعريف الصعلكة لغة واصطلاحاً والوصف عند الشعراء الصعاليك مثال: الحيوان وتختلفان في اختصاصها بالصعاليك من شعراء هذيل و الحكم والأمثال عندهم.

الدراسة الثانية :القيم والمفاهيم التربوية في الشعر الجاهلي .

رسالة ماجستير من إعداد عزالدين مبارك مصطفى بإشراف د محمد بيلو أحمد أبوبكر،جامعة أفريقيا العالمية ، في العام الدراسي 1998م.

اتفقت مع دراستي في قيم وميزات الصعاليك من كرم وشجاعة وا إقدام وتختلف عن دراستي في غاياتها.

الدراسة الثالثة : الوصف في شعر الأخطل الشاعر التغلبي :

رسالة ماجستير من إعداد الطالبة هياتم فتحي محمد إسماعيل، إشراف عبداللطيف سعيد، جامعة أفريقيا العالمية في العام الدراسي 2001م .

اتفقت مع دراستي في الجزء الخاص بالوصف في الشعر الجاهلي من خيل وا إبل وصحراء، واختلفت معي في الأشياء الخاصة بعصر الأخطل مما لا شأن لي به .

الدراسة الرابعة:عنترة بن شداد حياته وشعره .

رسالة ماجستير إعداد الطالبة فاطمة محمد علي حبيب الله بإشراف د. عثمان حسن وقيع الله ، جامعة أفريقيا العالمية ، في العام الدراسي 2001م.

اتفقت معي في وصف الخيل والمرأة والبيئة فقط.

الدراسة الخامسة: الليل في الشعر الجاهلي:

رسالة ماجستير من إعداد الطالب خالد علي إدريس، بإشراف د. عثمان حسن وقيع الله ، جامعة أفريقيا، في العام الدراسي 2002م.

وقد اتفقت مع دراستي في بعض الأشياء، واختلفت في أخرى، مما اتفقت فيه وصف الغارة في الجاهلية وأوجه الاختلاف في موضوعي الدراستين .

الدراسة السادسة: وصف الطبيعة في شعر امرؤ القيس.

رسالة ماجستير من إعداد الطالبة نوره عبيد عباس الخضر، إشراف. فاروق الطيب البشير بجامعة أم درمان الإسلامية للعام الدراسي 2002م .

اتفقت مع دراستي في وصف الخيل إلا أن رؤية امرؤ القيس في وصف الخيل تختلف عن رؤية الصعاليك في وصفها.

الدراسة السابعة: الشعراء الصعاليك في الجاهلية والهمباتة في السودان .

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب تاج الدين السر خلف الله الماحي، بإشراف د. محمد مهدي أحمد. بجامعة النيلين العام الدراسي2003م .

وقد اتفقت مع دراستي في تعريف الصعلكة وخالفتها اختلافاً نتج عن اختلاف موضوعي البحثين.

الدراسة الثامنه: أوجه الخلاف في نسب وحياة وشعر الشنفرى.

وهي رسالة دكتوراة من إعداد الطالب: بدوي محمد الأمين قنجاري إشراف: د. محمد يوسف مصطفى الواثق، جامعة الخرطوم في العام الدراسي :2004م.

تتفق ودراستي في نسب واسم الشنفرى، وتعريف الصعلكة ، حيث أورد مبحثاً يتحدث فيه عن الشنفرى والصعلكة ، في اللغة والاصطلاح كما توافقها في الوصف الذي أورده بعنوان أشكال الصعاليك. أما أوجه الخلاف، فتمثلت في مصادر شعره ومادته.

الدراسة التاسعة: لامية العرب ولامية العجم دراسة أدبية تحليلية موازنة.

وهي رسالة دكتوراة من إعداد الطالبة، أم كلثوم محمدالحسن عبدالله، إشراف الدكتور فاروق الطيب البشير، بجامعة أم درمان الإسلامية للعام الدراسي 2006م.

اتفقت معي في حياة الشاعر الشنفرى وفي تعريف الصعلكة في اللغة، واختلفت معي في عصره حيث تحدثت عن الحياة السياسية والدينية والأدبية.

الدراسة العاشرة : القيم الاجتماعية في شعر الصعاليك .

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب الأمين محمد عبد القادر،بإشراف : البروفيسور إبراهيم أحمد الحاردلو، جامعة الخرطوم ، في العام الدراسي 2008م.

أوجه الاتفاق بينها وبين دراستي تعريف الصعلكة في اللغة و الاصطلاح الأدبي تعريف الشعراء الصعاليك عروة ، الشنفرى ، تأبط شراً ، في الاسم فقط حيث تطرقت رسالتي لموضوعات وصفهم واختلفتا في تعريف بقية الشعراء الصعاليك مما لا شأن لدراستي بهم.

الدراسة الحادية عشر: الوصف لدى الشعراء الصعاليك حتى نهاية العصر الأموي دراسة وصفية تحليلية.

رسالة دكتوراه من إعداد الطالبة: فوزية بنت مبارك بن الحسين الدوسرى بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية. أتفقت مع دراستي في تعريف الصعلكة في اللغة والاصطلاح الأدبي وخالفتها اختلافاً نتج عن إختلاف عن موضوعي البحثين.

مدخل

جذور الشعر الجاهلي ضاربة في القدم، وقد اختلف العلماء في تحديد الزمن الذي قيلت فيه أول قصيدة عربية ، ويذهب بعضهم إلى إن أول من قال شعراً هو آدم عليه السلام [1].

فقد روي أنه رثى ابنه هابيل بأبيات شعرية هي :

تغيرت البلاد ومن عليهافوجْهُ الأرض مُغْبَرّ قبيح

تغير كل ذي لون وطعم ** وقل بشاشة الوجه الصبيح

وقد استنكر بعض العلماء هذا القول، وقالوا إن آدم عليه السلام لم يعرف الشعر ورد الباقون على هذا القول؛ لأن الله عز وجل علم آدم الأسماء كلها، والشعر من بين الأسماء وتبقى بعد ذلك مشكلة أخرى وهي كيف وصلإلينا شعر آدم عيه السلام؟، وعليه فإن الشعر الجاهلي قديم وا ِن نظرنا إلى جملة الشعر الذي وصلنا من العصر الجاهلي، وجدنا إن الذي بـَعـُد زمانه كان قليلاً؛ وذلك لانقطاع الرواة ونسيانهم ، بينما نجد إن الشعر الذي قيل قبيل البعثة النبوية كثير، ولا أدل على ذلك من أن جميع شعر أصحاب المعلقات وصلنا كاملاً أوشبه كامل .

ودواوين امرىء القيس والنابغة ولبيد وغيرهم موجودة بين أيدينا الآن.

وقبل شعر أصحاب المعلقات كان هنالك شعر في القبائل النائية البعيدة عن مراكز الحضارة "وهي المدن المعروفة في الجزيرة العربية " .

وقد وصل إلينا من هذه الأشعار بعضها كشعر قبيلتي هذيل وذبيان وغيرهما .

و هنالك طائفة من الشعراء يعيشون بمعزل من الناس وبمعزل من قبائلهم ، وعشائرهم وذلك ؛لأن طبيعة حياتهم تـُحتم عليهم الابتعاد من الناس ؛لأنهم يعتمدون على السلب والنهب والإغارة.

وأعني بهم جماعة الصعاليك الذين أنتشروا في جزيرة العرب في الجاهلية، ووصلت إلينا بعض أشعارهم متفرقة عند الرواة فجمعها علماء اللغة والأدب بعد الإسلام.

و شعر هذه الجماعة "الصعاليك"كغيرهم من الشعراء يمثل مرآة صادقة لحياة هؤلاء الناس ويعبر في الوقت ذاته عن بعض ملامح الحياة الاجتماعية والأدبية في شبه الجزيرة العربية.

---

[1]/ القرشي،أبوزيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، تح علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة 1967م ،ج2،ص30.

ولما كان الشعراء الصعاليك متعددين فقد رأيت أن أقتصر على أشهرهم عروة بن الورد والشنفرى، ولما كانت أغراض شعرهم متعددة فقد رأيت أن أتناول شعر الوصف عندهم، ولعل الذي دفعني لاختياره أنه أوسع موضوعات الشعر حتى ليشمل جميع أغراض الشعر ،وصدق الوصف عند الشعراء الصعاليك ، ووصف التجارب الإنسانية العميقة كما في شعر عروة والشنفرى ولذلك كان اختياري هذين الشاعرين.

المبحث الأول: تعريف الوصف في اللغة و الاصطلاح.

الوصف لغةً :

قال صاحب اللسان الوصف هو "وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفه: حلاه ، الهاء عوض من الواو وقيل : الوصف : وصفك الشيء بحليته ونعته[1].

وجاء في مقاييس اللغة وصف الواو والصاد والفاء أصل واحد ، هو تحلية الشيء ووصفته أصفه وصفاً والصفة الأمارة اللازمة للشيء[2].

إذاً تناولت وصف في معاجم اللغة العربية حول اشتقاق اللفظة.

يقول الزمخشري:" وقد كثر حتى قالوا: وصفت الناقة وصوفاً : إذا أجادت السير وجدت فيه، ويقال للمهر إذا توجه وأخذ في حسن السيرة هذا مهر وصف أي وصف المشي وأجاده"[3].

وفي القرآن الكريم قال تعالى {الْبَسْرُسٌ تَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ }[4]، أي على ما تذكرون من الكذب والمحال[5].

ويبدو أن هذا المعنى هو الأقدم للكلمة، والذي اندثر فيما بعد وبقيت منه دلالته وهي الإظهار.

قال طرفة بن العبد:

إني كفاني من أمرٍ سمتُ بهِ ** جارٍ جارُ الحيِّ الذي اتصفا[6]

فيظهرأن الشاعر يمدح جاره الذي أتّصف أي صار منعوتاً بين العرب ويقصد بالحذاقي أبو دؤاد الإيادي.

---

[1]/ابن منظور، لسان العرب، مادة وصف .

[2]/ ابن فارس،أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تح عبدالسلام محمد هارون ، دار صادر بيروت، ط3، 2004م مادة وصف.

[3] / الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمد بن عمر، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط1، 1992م، مادة "وصف"

[4] / سورة يوسف، آية رقم 18.

[5] / ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل،كتاب تفسيرالقرأن العظيم ، دار الأندلس، للطباعة والنشر،القاهرة، ط4، 1983م، ص75.

[6] /ابن العبد طرفة، ديوان طرفة بن العبد ، تح علي الهاشمي، بيروت، ط1، 1980م، ص160.

إذاً مادة وصف تدور بصفة عامة حول الإظهار، وهو معنى قديم مأخوذ من جهة إظهار حسن مشي الناقة والمُهر والذي سبقت الإشارة إليه، ومن ذلك قولهم: وهو من المجاز: وجهها يصف الحسن، وتقول : وصيفة موصوفة بالجمال وقيل لسانه يصف الكذب"[1]. أي أظهر الحسن والكذب.

قال تعالى: {وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ }[2]، بمعنى عدم قول الكذب لوصف ألسنتكم[3].

ومعنى الوصف المأخوذ من الإظهار؛ مذكور من أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ذكره ابن منظور في قوله :(وقوله في حديث عمر رضي الله عنه :(إن لا يشف فإنه يصف أي يصفها يريد الثوب الرقيق إن لم يُبين منه الجسد فإنه لرقته يصف البدن، فيظهر منه حجم الأعضاء، فشبه ذلك بالصفة كما يصف الرجل سلعته)[4].

وأصل الوصف: الكشف والإظهار يقال قد وصف الثوب الجسم إذا نم عليه ولم يستره[5].

قال ابن الرومي:

إذا فتْ ما فوق مجرى وشاحِها ** غلائلُها شهادتَها الأُزْرُ [6]

وقد بلغ ابن الرومي الغاية القصوى في صفة شفافية تلك الثياب.

الوصف اصطلاحاً :

أخذت اللفظة بمعناها القديم عند العرب، وطورت بمرور الزمن ومن ثم ظهرت بشكل جديد. فهي عند قدامة بن جعفر" ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات؛ ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع

---

[1] / الزمخشرى، أساس البلاغة ، مادة وصف .

[2] / سورة النحل آية 116.

[3] /ابن كثير ، تفسير القرأن العظيم،الجزء4، ص68.

[4] البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر- : السنن الكبرى - تح: محمد عبد القادر عطا ،: دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1424 هـ - 2003 م، باب الترغيب تكثيف الثياب، الحديث رقم.3263 - ج2، ص332.

[5] / ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة ، تح مفيد قميحة ، دار صادر بيروت ، لبنان، ط1، 1983م ، ص464.

[6] /ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس، شرح أحمد حسن سبج، دار الكتاب العلمية ، بيروت، ط3، 2002م ص174

على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم أظهرها وأولاها، حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحسن بنعته"[1].

وأوضح من ذلك قولابن رشيق القيرواني: الشُعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه، وليس به "أي بمعنى أنه قريب من التشبيه " لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه[2].

وعند أبي هلال العسكري: "أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأنه يصور الموصوف لكَ فتراه نُصب عينيك "[3].

كما قال النابغة الجعدي يصف ذئباً أفترسجؤذراً :

اتَ ـهُ بفرِ يدةٍ ** أخو ثِقَةٍ يُمسي بُطْنانَ را

إذا رأى مِعْزىً وُعاً تحركتْ ** بابَ كان القلبِ منه فَزَعا[4]

فنرى كيف قام هذا الوصف بنفسه، ومثل الموصوف في قلب سامعه.

وفي المعجم الأدبي عُرف الوصف "بأنه نقل صورة العالم الخارجي، أو العالم الداخلي من خلال الألفاظ، والعبارات، والتشابه، والاستعارات التي تقوم لدى الأديب مقام الألوان لدى الرسام، والنغم لدى الموسيقي"[5].

وعند إيليا الحاوي الوصف هو" أهم أسلوب من أساليب التعبير لدى الجاهلي؛ لأن عجزه عن التعبير عن المعاني جعله يرسمهارسماً [6] ".

---

[1] / ابن جعفر، الإمام أبي الفرج قدامة ، نقد الشعر ، تح، كمال مصطفى ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط3، 1962م ، ص، 118.

[2] / ابن رشيق، العمدة ، ص 464.

[3] / العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، الصناعتين، تح، علي محمد البجاوي ، دار المكتبة العصرية ، بيروت، 2006م ،ص239 .

[4] / النابغة الجعدي، قيس بن عبدالله، الديوان، تح د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت ـ لبنان ، ط1، 1998م ، ص60

[5] / عبدالنور،جبورة ، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م، مادة وصف.

[6] / الحاوي، إيليا سليم، فن الوصف، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 1987م ، ص 8 .

وفي هذا الرسم أو النقل مثلاً يقتصر همُّ الشاعر على اكتشاف المشابهة بين مشهدين مختلفين، كما هو الحال عندما يصف ناقته، أو فرسه، فإنه يهتم بنقل صورة الأعضاء بدقة متناهية، كما جاء في معلقة امرؤ القيس المشهورة في وصف الفرس، ومنها:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً ** كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ.[1]

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ المُثَقَّلِ ** يَزِلُّ الغُلامُ الخِفُّ عَنْ صَهَواتِها

نلحظ في وصفه للفرس يختار له الفخامة، والقوة، وسرعة كره على العدو، وأدباره حيث لا مجال للكر، لم يجد ما يشبه به سوى قطعة صلبة من الصخر دحرجها سيل قوي من مكان مرتفع.

وهذا قريب من موصوفات الشاعر الجاهلي الذي يصف ما يراه أمامه من ظواهر.

ويعرف الوصف بأنه " التصوير الحسي الذي يراد منه إدراك الموصوف بإحدى الحواس[2].

وقيل: هو تصوير خصائص الأشياء الحسية والمعنوية باللغة، وهو كالرسم في أنهما من الفنون الجميلة، وفي اعتمادهما على الألوان للإفهام، والتأثير[3].

وكذلك الوصف " عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه، أي يدل على الذات بصفة كأحمر، فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود هو الحمرة، فالوصف والصفة مصدران، كالوعد، والعدة والمتكلمون فرقوا بينهما فقالوا الوصف يقوم بالواصف، والصفة تقوم بالموصوف"[4].

إذاً يختلف الوصف باختلاف ما يوصف، سوا كان حسياً أو معنوياً فمثلاً: وصف مشاهد الطبيعة يجب أن تكون بكلمات حاكية صفة الطبيعةمن لون، وصوت، وحركة.

---

[1] / ابن حجر، امرؤ القيس، ـ ديوان امرئ القيس،تح أبو الفضل أبراهيم، دار المعارف،القاهرة، ط5، 1984 ص19.

[2] / الجندي، علي، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار التراث بيروت، 1991 ط1 ، م ص363.

[3] / الشايب،أحمد ، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط12، 2003م، ص 103

[4] / الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تح مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ـلبنان ط1، 1983م، ص252.

يقول عمر فروخ: "الوصف في كل شيء نوعان خيالي، وحسي، الخيالي: يعتمد التشبيه، والاستعارة ويحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة، أما الوصف الحسي فهو "تصوير للموصوف[1] ".

وبعد في نهاية هذا الجزء يتضح أن الوصف كان يدور حول طريقة الحركة والسير ، ثم تطور فأصبح يدل على الكشف و الظهور، ذكر الشيء بهيئته، التصوير الحسي للموصوف، قريب من التشبيه مشتمل عليه.

[1] / فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط7، 1997م، ص 80 – 81

المبحث الثاني: الوصف عند الجاهليين:

لاشك أن الشاعر يستمد مواضيعه من طبيعة بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها، محاولاً أن يعبر عن ذلك، ونجده بطبيعة نفسه يميل إلى نقل مايراه من مشاهد.

والوصف الجاهلي عبارة عن لوحات كاملة، حيث أن شاعرها وفر لها كل أسباب القوةو الصور الموحية المؤثرة، والجو الملائم من زمان ومكان، ولون وحركة وصوت، ونجد أن هذه اللوحات والصور تتكرر من شاعر لآخر، وقد تتكرر فيها المشاهد وتتشابه فيها الصور،وا إن كانت متشابهة في إطارها العام، لكن لكل صورة، معالجة معينة، وتفصيلات خاصة بها[1].

ويعتبر الوصف من الموضوعات المهمة، وقد وصف الشعراء كل شيء وقعت عليه أعينهم في صحرائهم، وفي العادة يذكرون ذلك بعد غزلهم وتشبيبهم[2].

ومن الموضوعات التي وصفوها:

1) وصف الإبل:

الإبل هي النعمة التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان في شبه جزيرة العرب؛ لتعينه على العيش و الحياة في البيئة القاحلة و الطبيعة المجدبة .فالعربي يعيش في صحراء جافة، وبالناقة يستطيع أن يتغلب على كثير من الصعاب التي تواجهه، فهي وسيلته الأولى التي تطوى به تيه الصحاري، ويقتحم بها وحشة المفاوز.

وجبلت الناقة على الصبر، مما جعلها أهم أدوات عيشه اليومي،يستخدمها في جلب الماء، والطعام، وكل احتياجاته يقول عبدالله الطيب: "... ولاغرو فالإبل ر فاق العرب ومن أشبه خلق الله بهم، كبراً ، وصبراً ورقة وحنيناَ وا لفاً لشظف العيش حتى يكون عندها بمنزلة الرغد، وقد عرفتها العرب في معنى الخصوبة والسقيا"[3].

---

[1] / انظر جبوري: يحي ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط4، 1983م ، ص 220.

[2] / ضيف: شوقي ، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف ، القاهرة ، ط3، 1973م،ص 214.

[3] / الطيب: عبد الله ، المرشد إلى فهم أشعار العرب ، دارجامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ط1، 1993م.

.ص413.

كما كانوا يصفونها ويشبهونها بالقصور، ويشبهون قوائمها بالأعمدة وبجذوع الطلح ويديها بالصخر الغليظ وكانوا يشبهونها بكثير من الحيوانات، مثل الظليم، وحينئذ يستطردون إلى وصف هذه الحيونات، وما يكون بينها وبين كلاب الصيد من عراك[1].

مثال وصف الناقة قصيدة المسيب بن علس التي مطلعها:

لْتَ مَ ى بغيرِ مَ تَاعِ ** ِ َ ِ ورُ عتْهَا ِ َداعِ

ءَاءَ لَبَةٍ تدْبَرْتَها ** ِ ـجٍ ذا استقبلتَها ِ َاعِ

وكأنَّ بموضِعِ كُورِها ** ساءَ ِ يَ امِضِ لأَذْساعِ

وكأنَّ ارِهَا مَ خْرِمٍ ** مُدَّ جَدِيلِـها رَاع

لَ ةِ بادرتْ جُدَّادَها ** ِ َ سلِ مٌ بالإِسـراعِ*[2]

نلحظ من خلال الأبيات براعة الوصف ودقته، فوصفها بأنها ناقة جيدة، وشرع لها معظم صور التشبيه، فشبها بأنها كالنعامة في تقارب عرقوبيها، وفي صلابتها و جمال خلقها بالقنطرة والكور ثم رجع إلى صفة النجابة فقال ملساء على شدة لزوم النسع لها، وغموضه في جلدها.

ثم بالغ في وصفه لها عندما شبهها في سرعة يديها بامرأة تخوط ثوبها وتبادر إلى إسراعه لتخلص منه.

ويقول طرفة بن العبد في وصف ناقته:

ِّ ي الهَمَّ عِنْدَ ارِهِ ** ءَاءَ َ رُوحُ وتَغْتدِي

ْنِ ـوَ حٍ إِنْ َأتُـهَا ** علىلاحِ ٍ َهُ لَ ُدِ

[1] / ضيف :شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص214.

[2] / الضبي ، المفضل بن محمد، المفضليات،تح عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف،القاهرة، ط2، 1963م، ص95-96.

- المتاع: ماتمتعه به وتزوده إياه ، الذعبلة: السريعة ، غاربها: ماأحاط بالكتفين

َالـدِيَّةِ ـذَاء تردَى كَـأذْـها ** فَذَّجةٌ َرِي َر أربَـد [1]

ويختلف أسلوب الوصف من شاعر لآخر، فنرى طرفة بلغ غاية في الوصف عندما شبه عرض عظام ناقته بألواح التابوت، ألحظ أن عملية الإبداع ذات تأثير بالغ في رسم لوحة التشبيه، وما تعكسه من تجانس مثلاً بين المشبه، والمشبه به .

وصف طرفة بن العبد إبله في مقطوعة أُخرى بقوله :

ْكٍ ـ أثار َت ْ مـ َخـ َافتي ** ـد ِيـ َها، ـ َضـ ْبـ ٍ مـ ُـ َّد

ّت ْ ت ُ خـ َيـ ْفـ ٍ جـ ُلالةٌ ** ـ َـيخ ٍ كـالـوبيل يـ َلند َد

ول ُ ، الو َظـ ِيف ُ وساقُها ** ت َ قد أتـ َيـ ْت َ بمـ ُؤيِد ؟ [2]

أي رب إبل كثيرة باركة قد أثارتها عند مباركها مخافتها إياي في حالة مشي مع سيف قاطع مسلول من غمده، ويريد أنه أراد أن ينحر بعيراً منها فنفرت منه لتعودها ذلك، فمرت به في حالة إثارة مخافته إياها ناقة ضخمة لها جلد الضرع، وشبهها بشيخ قد يبس جلده ونحل جسمه من الكبر حتى صار كالعصا الضخمةيبساً ونحولاً، وأنه نحر كرائم مال أبيه لندمائه[3].

قال زهير يصف الإبل ويعدها كالبلسم الذي يشفي الجروح ويزيل لهيب النار المتأجج في النفوس:

الكُـلُوم ـ ـبَـلَمْـئِين َ و َأصـ ْبـ َحـ َت مـ َـيُـجْـ َلـيـ ُها َ فـيـهـ َا بمـ ُجـ ْـرِم

يـ ُـنـ َقـوِم ـلِمـقـ ُوهـا ْمٍ غـ َرَ امـ َـقٍ لـ َم ْ ـيـ ُهـ َر ْ ـيِـقـوا ْنـهـ ُ ـلـهـ ـمـ َحـ ْجـ َمِ [4]

ولأهمية الأبل ومكانتها عند العرب لم تكن بمعزل عن مشكلاتهم ، فعند إراقة الدماء تدفع الديات لأهل القتلى بدلاً عن إراقة الدماء والتقاتل بين القاتل وأولياء القتيل.

ولم يكن هذا الاهتمام بالإبل اهتماماً عابراً ،وإنما جاء نتيجة الفائدة التي كان ينتفع بها البدوي، ولها كثير من الفوائد مثلاً : تستخدم الإبل لحمل المتاع، وأدوات الحرب وعدتها، قال زهير يذكر الإبل التي يحمل عليها المتاع: -

يسيرونحتى حـ َبّ سوا عند بابه ثقال الروايات والهجان المتاليا[1]**

---

[1]/ ابن العبد ، طرفة ، ديوان طرفة ص20.

[2] / نفسه ص27.

[3] / الزوزني ، عبدالله الحسين بن أحمد ، شرح المعلقات السبع ، دار المعرفة بيروت، ط4، 2010م ،ص101.

[4] / ابن أبي سلمى ، زهير ، ديوان زهير، تح علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان، ط1 ، 1988م ، ص105 .

فنرى الإبل مثقلة بمتاع كثير ثقيل الوزن لا تستطيع حمله إلا الإبل التي اعتادت الحمل - الرو ايات – وهي التي يستقي عليها لتعودها حمل الماء.

قال أوس بن حجر :

هكأنّاً جنيباً تَحْت عرضتها الفتك ديكٌ برجليها وخنزيرُ

كأنهلو وشومٍ بين مأ فقةٍ ** والقطقطانة والبرعوم مذعور [2].

وصف ابن حجر هنا وصف عرض فيه الموصوف و أسند صفاته لحيوانات يعرفها الجاهلي وطبعت في ذاكرته مقترنه بصفات محددة، عندما يذكرها ينبغي أن تتبادر لذهن السامع هذه الحيوانات فيسقط صفاتها المعروفه على ناقة الشاعر، وصف نشاط تلك الناقة بالهر والثور فهي لا تفتر دائماً في حركة نشطة.

هاهو الأعشى يصف ناقته متخذاً لها عدة تشبيهات حيث شبهها بالكلب والثور يقول:

كأنّي رحلي والفتانَ ونمـــرقي	**	**لى ناوٍ أسْفَعِ الخَـــدّ ثَمَـا**
لُوذُ ـْطَاةِ حِنْفٍ ـُفّهُ	**	**يقُ ـَالٍ ـُكُ الجهَ مَـــا**
بـّاً ، روقيهِ يحفرُ عرقـها	**	**بُ الفتى الـِيّ ، ِ بن أرْقَمـا**
حَى مَى يَدَيْهِ ، فذادها	**	**بأظمأ ، ْ فرعِ الذّؤابةِ أسحمـــا**
ـْلَقَ ذِ وبِها، فاتّبَعنَهُ	**	**ـَا السّامي المُـلُ مَـا**
ن ْ غدوةً تى أتى الّليل ُ دوء	**	**مّـــمَ صبراً ورقـــهُ ، نحشّـــما**
وأدبر كالشعرى ضوحاً وتقية	**	**بواعن من نحر الصريمـــة معظمـا**
فذلك د الجهد شبهتُ ناقتي	**	**إذا لشاة يوماً مافي الكنائس جرثماً *[3]**

يتضح من الأبيات أن الشاعر بدأ بوصف ناقته السريعة الجري التي تراقب السوط، شبهها بالثور الذي أكب على أصل شجرة بقرنيه يحفر فيها بيتاً يؤويه، فصبحته كلاب "عوف بن أرقم"، الصائد المعروف عند شروق الشمس فانبعثت تتبعه، وظلت تطارده منذ الصباح المبكر، حتى أقبل الليل فراح

---

[1] / ابن أبي سلمى ، زهير ، ديوان زهيربن أبي سلمى ، ص141.

[2] / ابن حجر،أوس بن حجر ،ديوان ابن حجر،تح ، محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ، ط3، 1979م، ص142.

[3] / الأعشى، ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى ، بشرح محمد محمد حسن ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1972م، ص245-246.

- يلوذ: يلجأ، أرطاة : شجر ، مكبًا: مطأطي رأسه ، أخثم : عريض الأنف.

يذودها عن نفسه بقرن محدد، وأقبل عليها يهز قرنه حين يدفعه في صدرها، كما يشك الجراد صائده، فانقلببعد أن قتلها وقد أشرقوجهه فكأنه كوكب مـُضي[1].

2) وصف الخيل:

الخيل هي مطية الفرسان، وزينة الشجعان، أنغرس حبها وتقديرها في نفوس العرب منذ عهد بعيد، وارتبط ذكرها عندهم بالفروسية والقوى؛ فهيرأس العتاد العسكر ي، والتفوق عند الحروبلهتم ّ العرب بتربيتها، وتحسين سلالاتها، والعناية بها.

يقول بعضهم "أعز العرب الخيل، وحدبوا عليها، وباهوا بها؛ لأنهم كانوا يركبونها للصيد وللرياضة، وكانوا يمتطوها في كرهم وفرهم، وقد عرفوا بتجاربهم الطويلة أن الخيل أنفع في المعركة من الإبل؛ لأنها أكثر عوناً وأسرع حركة[2].

وصف العربالخيل كثيراً في أشعارهم وتحدثوا عن مزاياها، قال امرؤ القيس في وصف فرسه :

ـيتٍ ـُ اللَّـدُ عن حـال متنـه ** كما ، الصـَ ـفُواء بالتنّزَل

على الـْلِ ـَيَّـاٍ كـأن إهـَ ـهُ ** إذا حميةُ عـْلي ـَ مرـَ جـَلِ

ـَحٌ إذأ ما السـابحات ـى الو ـَني ** أثـرن ـَارا ًبـالكديد ـمـُركـل

يـ ـَ الغُلام خـِـف على صواتـِه ** ـُلوي ب العـَفيف الْمـثـَقـَلِ [3]

يخلع امرئ القيس جميع الصفات الحميدة على فرسه من لون وسرعة وملاسة ظهره وصفة نشاطه ولشدة خفته وسرعته يرمي بثياب االفارس الماهر .

نلحظ من خلال الأبيات الحركة على أشدها عندما وصف امرؤ القيس فرسه بسرعة جريه، وضخامته فوصف جريه، بالإنصبابمعنى يصب هذا الفرس عدوه صباً بعد صب، فيجيء به شيئاً بعد شيء، إذا أثارت جياد الخيل التي تمد أيديها في عدوها الغبار في الأرض، الصلبة النيي وطئت بالأقدام.

ونرى أنه بالغ عندما وصف فرسه بأنه يرمي بأثواب الماهر في الفروسية لشدة عدوه [4].

قال طفيل الغنوي في وصف فرسه :

---

[1] / القيسى ، نورى ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ص245-246.

[2] /انظر الحوفي ، أحمد محمد،أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر ، 1958م ص90.

[3] / امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص30.

[4]/ انظرالزوزني ، شرح المعلقات السبع، ص 21-24.

يـْلٍ كشَالِ َاحِ مـَصنـَـةٍ ** خـَائِـَابُ وَمـُذْهـَبُ

لهـَوادِي والمـُتونُ صبـَـةٌ ** غـَبرُ فيـهـا لـلأرِيـعَـُ

رجتْ يوماً أعيدتْ كأنـها ** في السَّمـَاءِ تـَقـَلـَّبُ [1]

يصور طفيل الغنوي خيلاً تعودت الإغارة وعدهاكنزاً لقومه، ونسبها إلى جوادين أصليين من جياد قبيلته هما: الغراب ومذهب " ثم وصفها بطول الأعناق وصلابة الظهورو القدرة على الكر مرة بعد مرة، مشبهاً إياهابالطيور التي تألف التحليق في السماء، فهذه الخيل ألفت الإغارة على الأعداء في الصحراء[2].

كما شبهوا الفرس بالذئب يقول طفيل:

كسالِيغَضَا العادي اَضلَّ جراءه** علاَ شرفاً مستقبلَّيح يلحبُ [3]

نلحظ تشبيه طفيل لفرسه بكثرة وسرعة الحركة حتى أنه يسابق الريح جرياً، ففي هذا البيت دلالة على رهافة الشاعر الجاهلي وتتبين في دقة وصفهللجريٍ الذي جعله في مرتبة تتجاوز المحسوس الظاهر إلى المعنوي الخفي.

وربماكان عنترة بن شداد أرهف حساً من الغنوى حيث يقول :

ـازورّ من وقـع القنا بلـانهِ ** وشكا ، يـْرةٍ مـَدْمـُمِ

لوكان دري ما المحاورةُ أشتكى ** ولكان لو علم الكلام مكلمي[4]

نرى عنترة يبث الحياة في وصفه، وقصصه وطريقته في ذلك التشخيص والتصوير، وأقدر على تمثيل ما يدور في صدر جواده، فيرى أن فرسه لو أتى القدرة على النطق لحاوره عنترة، ولكن عنترة فهم بلا كلام؛ طول عـُشْرتهِ لحصانه جعل كل منهما يقف بالحدس، على دخلية صاحبه.

لذا نجد أن الطبيعة الجاهلية الهمتالشعراء كثيراً من المعاني.

---

[1] / الغنوي، طفيل، ديوان طفيل الغنوي، تح ، حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط، 1997م، ص58.

[2] /انظر طليمات ، غازي، الأدب الجاهلي قضاياه ، أغراضه أعلامه ، د:ت ، دارالفكر عمان الأردن ، ص96.

[3] / الغنوى ، ديوان طفيل، ص63.

[4] / ابن شداد ، عنترة بن شداد بن معاوية ، ديوان عنترة ، شرح الخطيب التربيزي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1، 1992م ،ص 183

3) وصف الكلاب :

شغل ذكر الكلب في الأدب الجاهلي والعربي صفحات عدة،و هو الحيوان الذي اعتمدو عليه في صيدهم ولقبوه ألقاباً مشهورة [1]وشغلوا أنفسهم في تدريبه، للانتفاع به في الحراسة، ومراقبة قطعان الماشية لحمايتها من الذئاب[2].

إلى جانب فائدة نباح الكلاب في جذب الضيوف التائهين في الفلوات، ويعد مجال الصيد من أوسع المجالات التي ورد فيها ذكر الكلب، في الشعر الجاهلي؛ فهم يذكرون الكلاب في حديثهم عن الرواحل وتشبيههم لها بالثيران الوحشية، أو البقر الوحشي [3].

وفي كثير من الشعرجاء ذكر الكلب مقترناً بالدلالة على الكرم، وافتخروا بجبن الكلاب إذ يدل على كثرة الطّراق، قال حاتم الطائي :

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه ** وشق على الضيف الضعيف عقورها

إذّي كلبِ ، بَ يْتي مُ َطّأ ** أجود، إذا مال النفس شح ضميرهـا

إن كلابي قد أهرت وعـودت ** يلٌ ، علىْ يَعترينـي، يرُ هـا[4]

ألحظُ من خلال الأبيات السابقة كرم حاتم الطائي الذي كانت داره ملجأً لجميع الناس، وقد ركز في أبياته ثلاثتها على ذكر الكلاب وردة فعلها مع الغرباء الداخلين إلى الدار، وتجنب حاتم المقارنة بين البخيل والكريم مكتفياً بالمقارنة بين كليهما، ونرى الحركة في أشدها في دار الكريم لكثرة القادمين والرايحيين، حتى تعودت كلابه على ذلك فأصبحت لا تهر في وجوههم إذ جعل عدم هرير الكلاب ، كناية عن تعودها على المرتادين ولكثرتهم وأشار لكرمه عن طريق جبن الكلب، بينما أشار لبخل البخيل من خلال كلبه الذي يشق على الضيف الضعيف.

---

[1] / انظرالجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان ، تح عبدالسلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي، ط7، 1999م مج21، ص17.

[2] / نفسه، ص302.

[3] / انظرالقيسى ، نورى ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مكتبة النهضة العربية بيروت ،لبنان، ط2، 1984م ص121.

[4] / الطائي ، حاتم بن عبدالله بن سعد، ديوان حاتم الطائي دار صادر، بيروت ،ط5 ،،1981م ،ص61، وهذا المعنى ورد كثيرفي الشعر الجاهلي ، ويشبه قول حسان بن ثابت :

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل .

4) وصف الجبال :

الناظر في الطبيعة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية يجدها تتكون من صحراء غير منبسطة في عمومها لكثرة الجبال والهضاب في شرقها وغربها ووسطها وشاع في أشعار العرب أسماء بعض الجبال، ربما لمرورهم بها في أسفارهم أو لوعورتها وصعوبة اجتيازها، أو لأنها جزء من المكون الطبيعي لبيئة الشاعر الذي يقطن منطقة جبلية، ومن ذلك جبال "طي" التي في أرضهم،

وبعض الجبال في شبه الجزيرة العربية عالية القمم، صعبة المرتقى ربما لوعورتها أو ضيق قمتها الشبيه في الدقة والعلو والاستطالة بسنان الرماح ، قال تأبطشراً يفخر بتمكنه من صعود إحدى هذه القمم وعجز رفاقه أو تأخرهم عن ذلك :.

وقد لَثَّهُ كَسنَ الرِّماحِ مُحارِزٌ قَدَفَ في شَأْنَهَوْرِ الصَّيفِ مِحراقِ

بادرت قنتها صحبى وما كسلواحتى نميت إليها بعد إشراق [1]**

والقمم يتخذها العرب مراقب يستكشفون من أعاليها ماحولهم ومايترصدهم؛ لأن حياتهم وبيئتهم تضطرانهم للحذر الدائم وأخذ الحيطة وسنرى أن الصعاليك كانوا للمراقب أكثر حاجة من غيرهم، قال أبو كبير الهذلي يصور أحدها:

وعلى ثُؤُورٍ تقباً على مرهوبةٍلَيْس رقيبُها في مَثْملِ**

عيطْلقةٍ يكُون أنيسُها الذِّئْبانِ جَميعُها لم يؤْكلِ

أخرجْتُ مِنْها سلقَمٌ زولةً **جَحْفايبرق نابُها كالمعْولِ [2]

نلحظ في الأبيات أن الشاعر يفتخر بصعوده لتلك المرقبة العالية، وليس العلو فحسب ،وإنما مرقبة مرهوبة ترهب من يلقى فيها وليس رقيبها في حفظ ودائما معرض للخطر ويبين أن الجبل الذي صعده أرضه صلبه ولا تنبت، وليس فيها مايؤكل كما تعيش فيها ذئاب هزيله عجفاء تظهر عليها علامات الجوع والإفتراس لذلك يرهبها الجبناء .

---

[1] / تأبط ، شراً ، ديوان تأبط ـ تح علي ذي الفقار شاكر، دار الغرب الاسلامي، القاهرة، ط1، 1984م ص138.

[2] / السكرى ، أبوسعيد الحسن بن الحسين ، شرح أشعار الهذليين ، تح عبد الستار أحمد فراج ،القاهرة، دار العروبة 1945م،ج3، ص1077.

5) وصف النجوم :

اهتّم العرب بالنجوم؛ لأهميتها وفائدتها والاهتداء بها في صحراء تخلوا أرضها من المعالم فعمد أهلها على السماء ونجومها لمعرفة طرقهم ، قال امرؤ القيس مشبهاً النجوم في سواد الليل كالنبراس يهتدي به التائيهون في الفلوات:

النّجُومُ إذا حَانَتْ متَالَعُهَا ... شَبَّهْتُهَا في سَوَادِ اللّيلِ أقبَاسَا[1]

وركز امرئ القيس في هذا البيت على قيمة النجوم فهي كالنبراس عندما يشتد ظلام الليل يهتدئ بها التائهون في الفلوات، ونجد العرب في حديثهم عن النجوم يقرنون الكرم بغياب الثريا؛لأن غيابها يصادف فصل الشتاء البارد، حيث تشتد حاجة الفقراء إلى الطعام، ويجد الشعراء مجالاً واسعاً للمدح إذا أرادوا أن يمدحوا[2].

قال حاتم الطائي :

وعاذلة هبتْ بلَيلٍ تلومني ** وقد غاَقَ لثَريا نَجمُها
لَوُ علَّ عطَائي المالَ ضلَّةُ ** إذا منْ المالِ خيلُ وصردا[3]

يتبين من الأبيات كرم حاتم الطائي حتى في زمن القحط، حيث صارت عاذلته تلومه على شدة إنفاقه وهو يرفض غير ذلك، ويفتخر بكرمه وبسط يده.

و يرتبط بصورة النجوم حديث الشعراء عن طول الليل، فيرون أن النجوم ثابتة قي مواقعها وكأنها قد شدت إلى الجبال بأمراس وحبال تمنعها من الحركة والإفول فتظل واقفة لا تبرح مكانها .

قال الأعشى يصف ليلة طالت عليه :

أنّى وَمَا عَتْ خَرْعٍ ** أمْسِ بِذِي تَرِيدُ
إذَا تُقَاسُ بِذَرْعٍ ** قِدَّتِ السَّعُودُ[4]

---

[1] /امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس، ص 113.

[2] / نورى القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص121.

[3] / حاتم الطائي ديوان حاتم الطائي، ص33.

4 / الأعشى، ديوان الأعشى ،ص77

يبين الأعشى في بيتيه ليلة من لياليه الطوال ، نجومها قد ثبتت في مكانها لا تستطيعحراكاً كأنها مربوطة بصخور صلبة وأمراس مستديره كأن ثرياه فيها قد ثبتت هي الأخرى في مكانها، كناية على طول الليل .

قال امرؤ القيس :

بالكَ من بـلٍ بـأنَّ نمـَـهُ ** كلّ غـارٍ لفتـْل دتَّتْ بيذبل

بأنَّ ـَيًّا قَتْ في مامِهَا ** ـْراسِ تـّانٍ إلـى مـّ ندَلِ [1]

فكأن الشاعر تحكمت به سويداء قاتمة،ولازمته هموم يعانيها ليله ونهاره لذلك رأى أن الصبح ليس بأحسن من الليل فيتعجب من طول الليل، كأن نجومه سمرت في مكانها لا تتزحزح وقد شدت بحبال محكمة الفتل، وقد استعمل كلمة كتان للدلالة على المتانة والقوة.

وهذا أحق بامرئ القيس ونبالة معانية ومن تأمل عرف ما فيه من الروعة و الإيجاز"[2].

6) وصف الخمر :

الحديث عن الخمر ووصف آنيتها ودنانها ومجالسها قديم في الشعر العربي، فقد تناولها أصحاب المعلقات في أشعارهم ومن ذلك قول الأعشى:

في ـَسـُيـُوفٍ لهِندٍ قدِمـُوا ** ـْعُ عن ذي الحيلةِ الحـِيـَلُ

عتهمْ ـَ الرّيحانِ متـكئـاً ** وقـهـوةً مزّةً راووقها خسـلُ

لا يقونَ منها، وهيَ راهنـةٌ ** لاّ ـَاتٍ نْ عـَلّوا، نْ ذـَهِـلـُوا[3]

في وصف الأعشى للخمر نجد صورة مركبة من عدة أشياء، تشتمل على كل ما في مجلس الخمر بدأ بشارييها من الفتية الكرام الأقوياء،ثم يدلف لوصف الخمر المشروبة مبيناً صفتها ولونها وأوانيها وحبهم ورغبتهم فيها وسقاتها، فهم يشربونها ويتنازعون حسن الأحاديث وظريفها بينهم في حالة إتكاء وشربهم دائم

---

[1] / امرؤ ، القيس ، ديوان امرئ ، ص77.

[2]/ الجمحى ، محمد بن سلام بن عبيد الله ، طبقات فحول الشعراء، تح محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، 1980م ، ص85

[3]/ الأعشى ، ديوان الأعشى ، ص123.

ليس له وقت معلوم كما في قوله يستفيقون منها، وهي راهنة" بمعنى إذا أبطأ عليهم الساقي يطلبونها وهنا نجد براعة الشاعر في قدرته على نقل الصورة كاملة لخيالنا.

وكانوا يفضلون شربها رفاقاً منسجمين على صوت القيان ولحم الجزور، يقول ثعلبة بن صعير:

مي يُدريكِ أن رب فتية ** بيض الوجوه ذوي ندى ومآثرِ

نهُمْ بسباء جون ذراع ** قبل الصباح وقبل لغو الطائر

فقصرت يومهم برنة شارف ** وسماعُدْ جنةٍ وجدوى جازر[1]

قال عنترة يصف زجاجة الخمر التي يشرب منها في قيلولته:

ولقد شربتُ من المدامة بعدما ركد الهواجرُ بالمشوف المُعْلمِ

بزُجاجةٍ رقراءَ ذاتِ أسرَّةٍ ** قرنت بأزهر في الشمالِ مفدَّمِ[2]

وكثير من الشعراء يحددون وقتاً لشرب الخمر، فعنترة يذكر أنه شرب من الخمر القدر الذي اعتاد على تناوله في وقت الظهيرة بكأس من فضة .

قال طرفة:

ثلاثُ ولولا أنّ من عيشة الفتى وجدّ كلمَ أحفل متى قامُ عوّدي

فمنهُنّ سبقي العالياتِ بشربةٍ ** يتمّ ما تُعْلَ بالماءِ تُزبِدِ[3]

قال عمرو بن كلثوم:

لاَ يَهْبِصَنْ كِ فَحْيَنَا ** لاَ قِيَ يُدْرِيذَنَا

شَعَشَعَةً الحُبَّ هَا ** ذَا خَالَطَهَا سَخْنَا

رُبَاذَةٍ عَنْ هَاهُ ** ذَا بَاقَهَا تَنَّى يْذَنَا

يَدِيْحَ إِذَا أُمِرَّتْ ** يْهِ الدِهِ فَهَا يْنَا

---

[1] / الضبي، المفضليات ، ص128.

[2] / ابن شداد ، ديوان عنترة ،ص 94.

[3]/ طرفة ديوان طرفة، ص92.

نْت ِ كَ، َ ا أُمَّ عَ َرو ِ ** ان َ كَ، ُ َ اهَا ي َ مْنَا
مـ َ ا رُّ الاَثَة ِ عَ ْ رو ِ ** احـ ِبك ِ ؟ َ تَصـ ْ بَ ي ْ نَا
ـأس ِ ةَ ْ . َ ْت ُ َ ـ َ ك ٍّ ** ُ رَى ق َ و َ قَاصر ِي ْ نَا[1]

يتوجه عمرو بن كلثوم إلى مخاطبة الساقية بقوله أنهضي أيتها الساقية واسقني خمر الصباح ولا تدخريها وهو يريدها ممزوجه بالماء كأنها لشدة حمرتها ألقي فيها ْ ر النبت، وحتى الإنسان الضيق الصدر البخيل الحريص على ماله مهيناً له في شربها أُلزا َّت ْ عليه، وهو يتوجه بالنداء للساقية بقوله يا أم عمر لـ ِم َ صرفت عني الكأس رغم أن دوري في الشرب على اليمين، وليس أنا شر هؤلاء الثلاثة الذين تسقينهم و أفخر أني قد شربت في بعلبك وفي دمشق وقاصرينا و هذا دليل على أنه كان يعرف أماكن أجود أنواع الخمور.

و مما تقدم ندرك أن وصف الخمر في الشعر الجاهلي بعلاقٍ ذا ملامح متقاربة،سومات ً ثابته لا تخرج عن اللون، والصفة، والكؤوس، ووقت الشراب، والصانع والساقي والمجلس بما فيه من رفاق، ومغنيات .

7) وصف المرأة:

العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة طبيعية غريزية لما جعل الله تعالى في تركيبة العباد من المحبة لذلك؛ كان الشعراء يقفون عند بابها متشوقين يفتتحون بها قصائدهم وأقو الهم فكان لها سحرها في نفوس الرجال وسلطانها على مشاعرهم وأحاسيسهم، فكانت ملهمتهم في روائعهم وباعثة عواطفهم الصافية الرقراقة حتى أصبحت هي اللحن الجميل الذي تُستهل ُ به القصائد والكلمة السحرية التي تُ فتح لها كنوز الشعر[2]، وكرسوا قدراً كبيراً من أشعارهم لأجلها وتعرضوا لوصفها والحديث عنها في مختلف الأدوار التي تؤديها في الحياة الاجتماعية والجاهلية وصورها حبيبة وزوجة وأُم وفتاة وملة ً وتحدثوا عن وظيفتها وواجباتها في المجتمع[3].

[1] /الزوزني، شرح المعلقات السبع ، ص173-174.

[2]/ انظر الشابي , أبي القاسم ، الخيال الشعري عند العرب، الشركة القومية للنشر، تونس، 1961م، ص70.

[3]/ انظر على الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، بغداد :دار المعارف ، 1960مص88

ونراهم يقفون عند المرأة المحبوبة يصفونها ولا يكادون يتركون شيئاً فيها دون وصف، إذ يتعرضون لخدهاوشعرها وطولها وبياضها ووجهها ويفصلون ذلك تفصيلاً دقيقاً فيقفون في الوجه عند العين والخد والأسنان ، لا ينسون الزينة وطيب الريح [1].

يقول الشنفرى :

أن ّ اقبَيتْنَتكَحُجرِ رَيّحفَوانْقَنِاوِيّكَتْ عشَاءً وَطُلَّت
بِرَيْحَانَةٍ مِنْ بَطْنِ حَلْيَةَ أَرنَجٍّرَمَلتحَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتِ [2]

وصف الشنفرى زوجته حيث شبه رائحتها بريحانة نورت وفاح أريجها، مما يعني شدة إعتناء هذه المرأة بنفسها.

يقول المرقش الأصغر :

أرتْلتْ الضال منها معاصماً .... وخدّاً أسيلاً كالوذيلة ناعماً [3]

شبهالمرقش المرأة في نعومتها وإضاءة وجهها بالمرآة وذلك في خدها الأسيل الناعم.

يصف عنترةقائلاً :

تِدُمَلَيحةٌ ، عِاءُ	**	**بسهام ْحظ ما ،ّ دواءُ**
نِتْ فقلت غزالة مذعورةُ	**	**قد مها وسط الفلاة ،بلاءُ**
وبدت، فلتُ الرُ ليلة تمه	**	**قد قلدَّتْه نجُ ومها الجوُ**
سمتْ َ ضياءُ لُؤلؤ ْغرها	**	**فيه لداء العاشقين ناءُ** [4]

[1] / انظر ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي ، ص212.

[2] / الشنفرى، ثابت بن أوس، ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م ص36.

[3] / المرقش الأصغر، عمرو بن حرملة ، ديوان المرقش، تح مارين، دار صادر، بيروت، ط1 , 1998م، ص98.

[4] / ابن شداد، ديوان عنترة ، ص21.

من خلال الأبيات نرى عنترة ، استخدم أسلوباً سهلاً رقيقاً في وصفه لعبلة، فيه حب وود، كما يبدو في العبارات (رمت ْبدت ْ بسمت ْ). فمن خلال العبارات نشعر بالموسيقى ذات الأنغام اللطيفة، المشبعة برقة العاطفة .

لرقة إحساس عنترة نجده يبتدر وصف محبوبته ،بوصف شدة حبه لها . رمت الفؤاد . وذلك مبرر عنده بجمال عبلة المتمثل في عينيها ونظراتها وجمال جسدها ونقائها فهي كالغزالة، ثم في نفورها مما يمزج الوصف الحسي بوصف معنوي رائع، عبلة نفورة لحيائها ولعفتها وهنا تبدو المحبوبة جميلة من خارجها وداخلها، وعبلة جميلة الوجه لا يشبه وجهها إلا بدر التمام متقلداً نجوم الجوزاء ليزداد ضياء ً وبهاء، ويزداد رونقها وجمالها إن ابتسمت ففي بسمتها شفاء للعاشقين من السقام؛ لأن أسنانها ناصعة البياض يبرق من ثغرها نوراً وجعلها شبيهة بالبدر ليلة تمامه.

ونلحظ إنسياب الألفاظ العذبه، عندما شبهها باللؤلؤ ليظهر بياض أسنانها، وصيغة المبالغة عندما شبهها بالبدر ليلة تمة، فنلحظ تشبيهه لها في غاية الجمال.

وهاهو الأعشى يصف محبوبته بقوله:

َاءُ مَصْقُولَةٌ وَارِضُهَا ** يِالهُوَينى يِالوَجي الوَحِلُ

مُيَتَهَامِيَْارَتِهَا ** مِالسّحَةِ لا ريثٌ ولا عجِلُ

َسْوَاساً إذا انصَرَفَتْ ** . َعَانَ بريِرِقٌ زَجِلُ

ْ كمنْ يكره الجيرانُ طلعتها ** ا لِسرّ ِ الجْار تَختتِلُ [1]

يتضح من أبيات الأعشى لمحبوبته أنه يتصور أمام عينيه، ثم تحول لحركتها التي تدور حولها الأبيات الغراء هي الوضيئة ،والفرعاء هي طويلة الفرع "الشعر" وصقل العوارض هو بياض الأسنان والمشي الهوينى هو المشي بتمايل والوجي الذي يشتكي حافره ولم يحف وفي هذه الصفة لمشي المرأة دلالة على النسق الجمالي الخاص الذي تنفرد به الموصوفة ثم يشير إلى علاقاتها الاجتماعية وتزوارها مع جيرانها ليصل إلى وصفها بالبدانة والجسامة مما يؤدي لثقل الحركة وهذا مايحبه العربي في المرأة فيقول أنها متزنه في حركتها واثناء المشي الرزين يهتز خلخالها التي تتزين بها، ويوسوس الحلي في معصميها كأنه حب العشرق قد حركته الريح لم يكن هو وحده الذي يحبها فقد كانت حبيبة إلى كل الناس، وكان خلقها السمح يقربها إلى كل من جاورها نجد أن الشاعر برع في الوصف بنوعية الحسي والمعنوي.

[1]/ الأعشى، ديوان الأعشى، ص55.

وهنايكون الأعشى قد وصف المحبوبة ظاهراً في تفاصيل جسدها وباطناً من خلال علاقاتها بالجيران وكونهم يحبون زيارتها؛ لأنها لاتدخل في ما لايعنيها ولاتكشف أسرارهم .

و من الأوصاف الجزئية لمحاسن المرأة قول امرئ القيس:

كجيدِ الرِّئْم ليس بفاحشٍ ** إذا هي نصَّتْه ولا بمعُطَلِ [1]

فيشبه جيدها بجيد الغزال في الطول والاعتدال وصفاء اللون مع استدراك جميل في قوله (ليس بفاحش) أي أنه لو كان بطول جيد الغزالة سيكون طوله فاحشاً غير متناسب مع جسدها ، وليس هذا فحسب إن هذا الجيد الجميل غير معطل من الحلي والزينة ففيه عقد أو قلادة، أو غيرها مما يتناسب مع جمال ويزيد في رونقه .

ويصف شعرها قائلاً :

يزينُ المتونَ أسودُ فاحمٍ ** أثيثٍ كقنو النخلةِ المتعثكل[2]

فهنا ى شعرها الطويل الذي يجمّل متنها ونصف هذا الشعر بسواد اللون والغزارة ويشبه، هذه الثانية عنق محبوبته بعنق الظبي في حالةرفعه ، أي غير معطل عن الحُلي ، إذا ارسلته عليه فكأنه تحريك النخلة لقنوها .

وهاهو الشنفرى يصف محبوبته بقوله :

لقد أعجبتني قُوطاً قناعُها ** إذا تْ ولا بذات تَلَفُّ
بتُمْ تُهْدِي غَبُوقَها ** ارَتِها الهَيَّةُ قَلَّتِ
لُ .جَاةٍ من اللوْمِ تَها ** إذا ما يتٌ مَّةِ حُتِ
أَنَّ لأَرضِ نِسْياً تَقُصُّ ** على ها تُمْكَتِ
يْمةُ يُزِي ثَاهَا لِيلَها ** إذا النِّسْوانُ تْ لَّتِ
إذا سَى قُوَّةَ يهِ ** بَ يَسَلْ أَيْنَ ظَتِ

[1]/ امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص90.

[2]/ نفسه، ص90.

َقَّتْ ْبَكَرَّتْ وأُكْتْ ** جُنَّ ، الحُسْنِ جُذَّتِ [1]

في هذه الأبيات وصف الشنفرى زوجته التي كانت في غاية العفة والحياء، حتى أنها إذا خرجت لا تجسر على رفع قناعها عن وجهها، وهي تتصف بالحياء، بحيث أنها إذا سارت لا تتلفت وهي الصورة نفسها في قوله: (كأن لها في الأرض....) ويؤكد عفاف زوجته بقوله: "تحل بمنجاة "وهكذا يرسم الشنفرى صورة لامرأة في تمام الاستقامة، والسمو، وعلى الرغم من حيائها فهي واثقة من نفسها لها نفوذها الخاص كما في الأفعال المضارعة تبيت، تهدي، تحل..... .

وفي قوله: "إذا هو أمسى ..."و"لم يسل أين ظلت " تأكيد على أنه واثق منها؛ لأنها لا تبرح مكانها، لأدبهاالجم وعقلهاالمتزن، "وقيل أنها أجمل ما قيل في خفر النساء"[2].

يتبين في نهاية هذا الجزء روعة الشعراء في وصفهم وتشبههم لمحبوباتهم، حيث نجدهم تناولوا كل أنواع الوصف الحسي والمعنوي ونجد الشعراء برعوا في جميع أنواع الوصف .

[1] / الشنفرى ،ديوان الشنفرى، ص35-36.

[2] /أبوناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، ص145.